

# التاريخ يعيد نفسه

## بين المسلمين واليهود

للأستاذ عبد المتعال الصميدى

— ١ —

—>>><<<—

للتاريخ حكم يجرى في الحاضر والمستقبل كما يجرى في الماضي ، فلا يحزن المسلمون إذا رأوا اليهود يجازونهم الآن على إحسانهم إساءة ، وعلى إنصافهم ظالماً وعدواناً ، فقد بما أحسن المسلمون إلى اليهود فأساءوا إليهم ، وعرضوا عليهم أن يعيشوا في وطنهم العربي إخواناً لهم ، فرفضوا هذا العرض الكريم ، وأبوا إلا أن تكون جاهلية يرحون فيها وينهبون ، فكان جزاؤهم الطرد من هذا الوطن ، وسيطردون إن شاء الله من وطننا بفلسطين ، ويجازيهم الله على بغيهم الجديد ، كما جازاهم على بغيهم القديم . ولو تدبر اليهود حكم التاريخ لحقنوا من غلوائهم ، وخافوا حكم الله والتاريخ فيهم ، ولكنهم قوم أعماهم حب النفس ، فلا ينظرون إلى المستقبل ، ولا تنفع فيهم عظة ولا عبرة ، وهذا هو الذى جلب عليهم بغض الشعوب ، وأوقعتهم في كل ما وقعوا فيه من النكبات استولى الروم على بيت المقدس قبيل الميلاد المسيحى ، وطردوا اليهود منه ، فلجأ فريق منهم إلى بلاد الرب ، ونزلوا بجوارم في بترب وغيرها من بلادهم ، فنزلوا بينهم في أكرم منزل ، وعاشوا بينهم في خير جوار ، وكان العرب في جاهليتهم دون اليهود علماء بشئون الحياة ، فاستغل اليهود جهلهم ، وأخذوا يقرضونهم الأموال بالربا الفاحش ، حتى ساروا أغنى أهل الحجاز وامتلكوا أخصب أرضه يترب وغيرها .

وقد كان العرب في جاهليتهم يعيشون في حروب دأمة لانقطع فشاركهم اليهود في تلك الحروب ، وانتمسوا معهم في تلك الجاهلية الآتمة ، وانقسموا على أنفسهم فيها ، كما انقسم العرب على أنفسهم فلم يحاولوا أن يقوموا بينهم بصلح ، أو يقضوا على شرور تلك الجاهلية ، لأنهم لا يهتمون في هذه الدنيا إلا بجمع المال ، ولا يهتمون بشئ من هداية الشعوب إلى ما ينفعهم في دنياهم أو آخراهم .

وكان أهل المدينة من العرب واليهود منقسمين قبل الإسلام إلى قسمين : أولهما عرب الخزرج ومعهم بنو قينقاع وبنو النضير من اليهود ، وثانيهما عرب الأوس ومعهم بنو قريظة من اليهود وكان بين الفريقين حروب دأمة لا تنقطع ، وكان آخرها حرب بعات ، وقد وقع قبل الهجرة بخمس سنين .

فلما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة أراد أن يجمع بين أهل هذا الوطن من مسلمين ويهود ، وكان العرب من الأوس والخزرج قد اجتمعوا على الإسلام ، وبقى اليهود على دينهم فلم يسلخوا ، فتركهم المسلمون أحراراً في دينهم ، ولم يكرهوهم على أن يدينوا بالإسلام مثلهم .

فبعد النبي صلى الله عليه وسلم مهادنة بين المسلمين واليهود ، كانت أول مهادنة فرقت بين الدين والوطن منذ الخليفة ، وجعلت الدين لله يحاسب عليه يوم الحساب ، فمن عمل صالحاً قلنفسه ومن أساء فعلها ، وجعلت الوطن لجميع الناس ، يستوون في حقوقه على اختلاف أديانهم وأجناسهم ، فلا عصبية ولا قومية ولا غيرها مما يفرق بين الناس في الأرض ، ويشير الحروب والمعادوات بينهم وهذه سنة جديدة في السياسة لم يكن للناس عهد بها قبل الإسلام ، جاءت بأصلين عظيمين جديدين في هذه الحياة : حرية الاعتقاد ، والمساواة بين الناس في الوطن . فلم يكن قبل الإسلام أصل من هذين الأصلين ، بل كان أهل الأديان في حروب دأمة على الدين ، وكانت الشعوب في حروب دأمة على استعباد بعضهم لبعض ، فأبطل الإسلام الحروب الأولى ، ونادى بها صرخة مدوية في الأرض ( لا إكراه في الدين ) وأبطل الحروب الثانية أيضاً ، وجعل هدفه هداية الناس لا استعبادهم .

فلم يسع اليهود إلا أن يوافقوا في الظاهر على هذه المهادنة الكريمة ، حتى لا تظهر نيهم الخبيثة لأهل هذا الوطن الذى آوأموا وأكرمهم ، وحتى لا يظهروا بمظهر الكارهين لدينهم ، وهو يدعو إلى التوحيد كما يدعون ، ويرفض عبادة الأصنام كما يرفضون ، ثم أخذوا يكيدون في الباطن لأهل هذا الدين الذين لا ذنب لهم عندهم إلا أنهم نهضوا من جاهليتهم ، ورفضوا عبادة الأصنام إلى عبادة الله تعالى ، لأن اليهود لا يهتمون بشئ من هذا ، وإنما يهتمون استغلال من يؤويهم في وطنه ، ويرضونهم

في سعادة الدنيا ، لأنهم الشعب المختار بين الشعوب ، ولا قيمة في هذه الدنيا كثيرهم .

وكانت سياسة جهل وغباء من أولئك اليهود ، وكانت تدبيرات ظالمة باغية بإزاء ما أراده الإسلام لهم من العدل والإنصاف فجأزاهم الله على هذا شر جزاء ، ونصر حن الإسلام على باطلهم ، ورفع ما يدعو إليه من العدل والإخاء والمساواة على ما يدعوون إليه من الظلم والمعاداة والتفريق ، فذهب كل ما سوله الجهل لهم في القضاء على الإسلام أدراج الرياح ، وفشلت سياستهم الباغية الجاحدة المفرقة ، ولم ينفعهم أولئك المنافقون الذين آثروا خلفهم على حلف المسلمين ، ولو كانوا عتلاء لعلوا أن المنافق لا يبقى على حلف ، ولا يبقى بمهد ، ولا يقدر على نصر ، لأنه كاذب في دينه ضيف في نفسه ، فلا ينفع ولا يضر ، وشر الرجال من يصل إلى هذا العجز ، ويكون هذا حاله في الضعف .

لقد أراد يهود المدينة أن تبقى في جاهليتها ليستأنلوا أهلها ، ورفضوا أن تكون وطناً لهم والمسلمين ، فأبى الله إلا أن تكون وطناً للمسلمين وحدهم ، وأن يحرم منها أولئك اليهود النزيه ، فنفخوا منها إلى أذرعها وغيرها ، وسيميد التاريخ حكمه فيهم ، وسنين فيما يأتي كيف يكون هذا الحكم .

عبر المثال الصغير

كل الرضا أن يبقى جاهلاً بعباد الأصنام ، إذا كان هذا مما يمكنهم من استغلاله ...

فأخذ اليهود يعملون على إثارة العداوة القديمة بين الأوس والخزرج ، ليتفرق جمعهم ، ويتركوا هذا الدين الذي جمع بينهم . وبما عملوه في ذلك أن شاس بن قيس اليهودي مر على نفر من الأوس والخزرج قد جمعهم مجلس واحد ، تراف عليهم فيه أعلام المحبة والإخاء ، وتظاهر عليهم فيه آيات الإخلاص والولاء ، فغاظه هذا المظهر الكريم ، وقال . قد اجتمع ملائكة بهذه البلاد (١) لا والله ما لنا معهم إذا اجتمع ملائمتهم بها من قرار . ثم أمر فتى من اليهود أن يعمد إليهم فيجلس معهم ، ويذكر يوم بعث وما كان قبله من حروبهم ، وينشدهم بعض ما كانوا تناولوا فيها من الأشرار ، ففعل الفتى ما أمره به شاس ، فتكلم القوم عند ذلك وتنازعوا وتفاخروا ، حتى تواتب رجلان من الحيين على الركب فتناولوا ، ثم قال أحدهما لصاحبه . إن شئت رددناها الآن جذعة . وغضب الفريقان جميعاً ، وقالوا : قد فعلنا ، موعدكم الظاهرة (٢) السلاح السلاح . ثم خرجوا إلى تلك الحرة ، فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم ما فعلوه ، فخرج إليهم فيمن معه من المهاجرين ، فلما وصل إليهم قال لهم : يا معشر المسلمين ، الله الله ، أبدوى الجاهلية وأنا بين أظهركم ، بعد أن هداكم الله للإسلام وأكرمكم به ، وقطع به عنكم أمر الجاهلية ، واستنقذكم به من الكفر ، وألف بين قلوبكم ؟ فبكى القوم عند سماع هذه الكلمات ، وعانق بعضهم بعضاً ، ورجعوا إلى ألسنتهم وأحاديثهم .

فلما بنس اليهود من التفريق بين المسلمين انقلبوا إلى من بقى على الشرك من أهل المدينة ، وكان أكثرهم من المنافقين الذين يخفون الشرك ويظهرون الإسلام ، فخالفوهم على المسلمين ، ثم أخذوا يؤلبون القبائل العربية على حربهم ، وسماوا إلى قريش فخالفوها عليهم ، ولم يتورعوا في عداوتهم للإسلام عن تزوين الشرك وعبادة الأصنام لهذه القبائل ، وتفضيل هذا على الإسلام الذي يدعو إلى التوحيد كما يدعون ، ولم يهمهم أن يخرجوا بهذا على دينهم لأن القومية عندهم أم من دين ، وأمر الدنيا عندهم أم من أمر الآخرة ، فلا يهمهم أن يببوعوا دينهم في دنياهم ، وسعادة الآخرة

(١) قبلة من أم الأوس والخزرج .

(٢) حرة بالمدينة .

دار الامام للطبع والنشر  
١٠ ن الدماثة عابدين مصر

تقدم

## شرح حديث النزول

لشيخ الاسلام ابن تيمية

وقد أزال به شبهات أهل التأويل والتعليل ونصر به مذهب  
اللف والسنة المحمدية الثمن ١٢ قرشاً

وتقدم قريباً :

## الفرقان

بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان

للإمام ابن تيمية

قدم له وعلق عليه : الأستاذ أبو الوفاء محمد درويش الثمن ٨ قرشاً